جبران خليل جبران

رَمْلٌ وزَبَد



ثروت عكاشة

دار الشروق



رَمْـــلٌ وزبَـــد

رَمْـلٌ وزَبَـد

جبران خليل جبران

التـرجمة العـربية:
د. ثــروت عكاشــه

اللوحات المصوَّرة:
جبـران خليل جبـران

الإخراج الفنى:
مجـدى عـز الـدين

الطبعة السادسة ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٨/١٥٢٥٧
الترقيم الدولى: I.S.B.N.: 977 - 09 - 0512 - 7

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ (٥ خطوط) ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧
البريد الألكترونى dar@shorouk.com

الطباعة: مطابع الشروق بالقاهرة

جبران خليل جبران



رَمْلٌ وزَبَد

نقله إلى العربية

دكتور ثروت عكاشه

دار الشروق



«تقدمة الذآت»

تقديم

كان قد خطر لصديقة جبران «باربارا يونج» أن تجمع كلماته المختارة التي صدرت عنه في مرسمه وتضيفها إلى تلك المجموعة من الأمثال التي دوّنتها له في شذرات على قصاصات من الورق وقد تناثرت هنا وهناك ، ثم تضمّها كلها في مجلّد واحد . وقد سخر جبران بادئ الأمر مما رأت بقوله «إنها ليست غير رمل وزبد» . وكان الأمر كما قال ، وإذا هو شديد الانصياع لما رأت ، فكان يناولها ما يعنّ له أن يكتبه مسطور فوق برنامج مسرح أو غلاف خطاب ممزّق قائلا : «هاك رملا وزبدا اجتمعا معا دون تدبير» . وعندما انتهى جبران من كتابه « رمل وزبد » أقبل عليه من يقول له : إنني من المؤمنين بالميلاد الثاني ، وقد قال النبيّ : «أجل ، فترة قصيرة ، بل برهة أخلد فيها إلى السكينة على متن الريح ، ثم تحمل بي امرأة أخرى» ، فهل وُلد النبيّ المحبوب ثانية ؟ ومتى ؟ وما اسمه ؟فكان جواب جبران : « قد وُلد منذ أسبوع ، وكان اسمه «رمل وزبد » ، وها هو ذا يَمْثُل بين يديك؟» . ودفع جبران خليل جبران بهذا الكتاب إلى سائله ، وكان قد فرغ من كتابته بالإنجليزية . ففي الفترة التي امتدت ثلاث سنوات بين كتابيْ« النبي » و«حديقة النبي» لم يطق جبران صبراً ولم يكتف بإعداد عقله وقلبه للمرحلة التالية فأخرج لنا كتابين آخرين هما : «رمل وزبد » و «عيسى ابن الإنسان» .

وتحت ضغط الحاجة والحرمان يحنق جبران على الناس ويتمرّد ويثور حتى على بني وطنه ، بل وعلى الأديان جميعا ، فما إن يستقر وينعم بحياة ليّنة رخيّة حتى يعاوده الإيمان أصفى ما يكون الإيمان على ما يبدو لنا في كتابه «النبي» . فما أبعد ما بين كتابه « العواصف » وبين كتابه « النبي » بُعد ما بين الكفر والإيمان أو بين التمرّد على كل شيء والرضا بكل شيء . مثل هذا التناقض في حياة جبران الفكرية ، ومثل هذا الاضطراب ومثل هذا التداخل يجعله - رضي أم لم يرض - يقف دائمًا من نفسه موقف المتشكّك ، يجدّ في البحث عن نفسه ويحاول ما استطاع أن يتبيّن مكانه في الحياة . على أن الشك والحيرة والقلق تتجاوزه إلى ما حوله من مظاهر الكون جميعًا ، فإذا هو دائم السّعي للوصول إلى الحقيقة ، ثم تصوير هذه الحقيقة فيما يكتبه للناس ، وإذا هو يستهلّ كتابه «رمل وزبد » في حالة من اليأس والابتئاس وهو يجدّ في البحث عن الحقيقة :

« على هذه الشطآن أسعى إلى الأبد .

بين الرمل مسعاي وبين الزَّبد .

سوف يطغى المدّ على آثار قدميّ فيمحو ما وَجَد .

وتُطوّح الريح بعيدًا بعيدا بالزّبد .

أما البحر وأما الشاطئ ، فباقيان إلى الأبد » .

هكذا في نغمة يائسة يعبّر جبران عن عجزه في إدراك الحقيقة : حقيقة نفسه وحقيقة الوجود .

وهذا العجز الذي عبرّ به جبران نثرًا سبق أن عبّر عنه شعرًا ، مما يدل على أن هذا المعنى كان يجيش في صدره ويطغى على فكره فيفيض به وجدانه حيث يقول في ديوانه :

كـتـبـتُ فـي الجَـزْر سـطـراً	عـلـى الـرمـل
أودعـتُـه كـلَّ روحـي	مـع الـعـقـل
وعـدتُ فـي المـدّ أقـرأ	وأسـتـجـلـي
فـلـم أجـد فـي الـشـواطئ	سـوى جـهـلـي

هل يظل جبران على هذا النحو من اليأس والضّياع ؟ إنه لا يلبث أن يعود إليه اطمئنانه ويعود إليه يقينه بكيانه فإذا هو يقول : « بالأمس القريب خلتني شظيّة ترتعد نافرة في فَلَك الحياة . والآن أعلم أنى أنا الفَلك تجري فيّ الحياة كلها شظايا متّسقة » .

وجبران حين عرّف بكتابه هذا فقال : « ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه « رمل وزبد » ، حفنة من الرمل وقبضة من الزبد . وبالرغم مما ألقيت بين حبّاته من حبّات قلبي ، وبالرغم مما سكبتُ على زَبَده من عصارة روحي ، فهو الآن وسيبقى أبدًا أقرب إلى الشاطئ منه إلى البحر ، وأدنى إلى الشوق المحدود منه إلى اللقاء الذي لا يحدّه البيان » ، كان قريبًا من هذا الاطمئنان وقريبًا من هذا اليقين.

وهذا الكتاب الذي نقدّمه اليوم إلى قراء العربية « رمل وزبد » في طبعته السادسة هو في حقيقته امتداد لكتاب جبران « النبيّ » . ولسوف يحسّ القارئ في الكثير من فقرات هذا الكتاب أنها أصداء تردّد ما جاء على لسان «المصطفى» في كتاب «النبيّ» . فإن قوله في كتاب « رمل وزبد » : « الحب الذي لا يُضفي على نفسه جديدا كل يوم يصبح عادة ، ثم لا يلبث أن يكون رقًّا» ، أو « يعانق المتحابّان ما بينهما من ودّ أكثر مما يعانق أحدهما الآخر » يمكن أن يكون تتمّة لما جاء بكتاب « النبيّ » في موعظة « الحب » . وقوله في كتاب

«رمل وزبد» : «ليس الجُود أن تعطيني ما أنا أشدّ منك حاجة إليه، وإنما الجُود أن تعطيني ما أنت أشدّ إليه حاجة مني»، يمكن أن يكون تتمّة لما جاء بكتاب «النبيّ» في موعظة «العطاء». وقوله في كتاب «رمل وزبد» : إنما نعيش لنهتدي إلى الجمال، وكل ما خلا ذلك لون من الانتظار يمكن أن يكون تتمّة لما جاء بكتاب «النبي» في موعظة «الجمال». ومن هذه النماذج يتّضح أن ما جاء في كتاب «رمل وزبد» هو ترداد لما جاء في كتاب «النبيّ» مع شيء من الإضافة والتلوين في الأسلوب والجنوح إلى الرمز.

وحين نستحضر حياة جبران المتقلّبة بين المرارة والكآبة في غُربة لا ترحم، نستشفّ كيف انعكست على وجدانه، فإذا هو جائع أبدا ينشد المزيد ولا يعرف طريقا إلى استقرار، ومع هذا لا يكفّ عن الدعوة إلى التوحيد في الحب. لكنه على هذا لم يطمئن ذاك الاطمئنان ولا ذاك اليقين إلا في ظل صراحة أحبّ أن ينعم بها الناس شأنهم في ذلك شأنه، وفي ظل البُعد عن الخجل. فهو يريد من الناس أن يعرضوا هواجسهم كما تتردّد بين جنباتهم لا يكتمونها ولا يخفونها فيتخفّفوا بذلك من أثقالها، وإنه ليعبّر عن ذلك بقوله : «بين جانحتَيْ كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزّبد. ولكن بعضنا يبيّن ما بين جانحتيْه وبعضنا يخجل. أما أنا فلم أخجل، فالتمسوا لي العذر وامنحوني المغفرة».

هكذا يُفصح جبران عن هذا الرمل وهذا الزّبد وكأنه يرمز بهما إلى أدران النفوس وهنات القلوب، وهو يودّ لو بدا الناس صرحاء لا يضمرون شيئًا وهم يفعلون غيره. إلا أن جبران يشير هنا إلى ما في النفوس من أدران وما في القلوب من هنات يسترها الناس فلا يُظهرونها، وقد يكتمون شيئًا ويفعلون خلاف ما يكتمون، ولو أنهم تخلّصوا من هذه الأدران والهنات واتخذوا

الصراحة رائدهم في القول وفي السلوك لكانوا ألصق بالوضوح والاستقامة . على أن الجليّ في كتاب «رمل وزبد» أنه يجمع حكَمًا متفرقة ، ويعبّر عن خواطر متناثرة ، ويرسل آراء ليس بينها ارتباط ، ذَلك لأن جبران أملاه في ساعات استرخاء حين لم يكن يجد في نفسه ميْلا إلى الكتابة . وواضح أن هذه الجلسات كانت قصيرة متقطّعة ، لأنك إذا قرأت مقطوعاته فستجد بعضها منفصلا تمامًا عما قبلها وما بعدها ، أما البعض الآخر فقد يدور حول فكرة أو أفكار متقاربة قد انتظمت في جلسة واحدة . ثم أنت واجدٌ بُعداً في ثنايا الكتاب بين مقطوعاته ، ودليل البُعد انقطاع الأفكار بعضها عن بعض . من أجل هذا كان الحديث عن الكتاب حديثًا عن موضوع لا تربط عناصره وحدة ، وقد يحتاج الكلام عنه إلى تحليل لأمثلته واحدة واحدة .

وبالرغم من نفاذ بصيرة جبران وشغفه الفلسفي بفهم أغوار الوجود ليشكلّ من كل ذلك فلسفة خاصة به إلا أننا نجد أنه طوّف في حدائق الفلسفة والتيارات الفكرية كلها وتوقّف قليلا أو كثيرا عندها ، واستساغ لنفسه منها تأثيرات ظلت تلاحقه وتستأثر به حتى تسلّلت كثير من مفاهيمها إلى شعره ، فخرجت إحداها تلو الأخرى يجمع بينها خيط من الشاعرية الرومانسية المتوهّجة نبضا والمُشعّة ظلالا ، حتى ليأنس القارئ بكل منها أنسه بشخصية جبران الأسرة ، ثم هو إذا خلا إلى نفسه وأخذ يتعمق حكَم جبران وأمثاله تبين له أن الوحدة ليست إلا وشاحا جماليا رقّافا لا تخدعَنا مع ذلك شفافيّته . وقد يستطيع القارىء المتأمل أن يكتشف في الأبيات الأولى من هذا الكتاب ما يناقض أبياته الأخيرة ، وأن يرى أن نظرة جبران إلى الوجود على أنه وحدة متآلفة ، ما تلبث أن تنفصم عراها في أبيات غير بعيدة منها . ونحن قد نغتفر له هذا التناقض لأنه لا يقدّمه لنا بصفته فيلسوفا بل بصفته شاعرا فنانا .



على أن الكتاب بعد هذا أدب رمزي ، في أدق ما يكون الأدب الرمزي . ثـم هو كـلمات إنسانية تطوي رسالة إنسانية من أجلّ ما تكون الرسالات ، وصور مختلفة تُظهر جانبيْ جبران ، اليائس القنوط ، والسعيد الراضي . وفي رأي بربارا يونغ أنه ليس في اللغة الإنجليزية كتاب آخر يشبه هذا الكتاب في نهجه ، فهو لا يتميّز بأبعاد ثلاثة فحسب : الارتفاع والعمق والعرض ، بل يتميز أيضا بُبعد رابع هو اللانهاية التي تعني زمنا لا حدود له .

وفي الحق إن هذا الكتاب امتداد « للنبيّ» ومقدمة « لحديقة النبيّ » أو هو المرحلة الوسط بين تحديد علاقة الإنسان بالإنسان ، وعلاقة الإنسان بالطبيعة .



على هذه الشطآن أسعَى إلى الأبد

بين الرمل مَسْعاي وبين الزّبد .

سوف يطغى المدّ على آثار قدميّ فيمحو ما وَجَد .

وتُطوّح الريح بعيدًا بعيدًا بالزّبد .

أما البحر وأما الشاطئ ، فباقيان إلى الأبد .

* * *

مرةً ملأتُ من الضّباب يدي

ثم بَسَطتُها ، فإذا الضبابُ دودة .

وقبضتُ يدي، وثانيةً بَسطتُها ، فكان ثَمَّ عصفورٌ.

وأخذتُ أقبضُ يدي وأبسُطها ،

فإذا في قرارتها رجلٌ قائم ينظر إلى علٍ ساهمَ الوجه ،

ثم قبضتُ يدي ، وحين بَسَطتُها لم يكن ثمَّ شيء غير ضباب ،

لكنني سمعت شدْوًا ما أعذبَه من شدوٍ !

* * *

بالأمس القريب خلتُني شَظِيّة ترتعد نافرةً في فَلك الحياة .

والآن أعلمُ أنني أنا الفلك ، تَجري فيَّ الحياة كلها شظايا متّسقة

يقولون لي في يقَظتهم : ما أنت والكوْن الذي يضمُّك إلا حبّة من رمل ، على ساحل لا يتناهى لبحر لا يتناهى .

وفي حُلمي أقول لهم : إنني أنا البحرُ لا نهاية له ، وليست العوالم كلها غير حبّات من رمل على ساحلي .

* * *

وجدتُني أخرس مرة واحدة : حين سألني امرُؤٌ « مَنْ أنت ؟ »

* * *

تصوّر الرّب أول ما تصوّر مَلكًا .

وأولى كلماته كانت كلمة : إنسان

* * *

كُنّا خَلقًا ضالّين هائمين توّاقين آلاف السنين قبل أن نُلهَمَ الكلمات من البحر والريح في الأجمات ، فأنّى لنا الآن أن نُفصحَ عن خوالي الدهور بأصوات أمسنا ؟

* * *

مرةً وما ثَنّى نطق أبو الهول قال : « إن حبّةً من رمل هي صحراء ، والصحراء حبّة من رمل . والآن . . فنلزم الصمت ثانية » .

لقد استمعتُ إلى أبي الهول ، بيد أنني لم أفهم .

* * *

ذات يوم وقع نظري على وجه امرأة فشاهدتُ أطفالها جميعًا وما وُلدوا بعد .
ورنَت امرأةٌ إلى وجهي ، فتعرَّفتُ أجدادي جميعًا وقد مضوا جميعًا قبل أن تولد .

* * *

والآن بودّي لو حقّقت وجودي ، ولكن هل من سبيل قبل أن أغدو كوكبًا تدبّ عليه مواكبُ حياة واعية . أوليس هذا هدف كل حيّ ؟

* * *

اللؤلؤة هيكل شَادَه الألم حول حبّة من رمل .
تُرى أيّ شوق شاد أبداننا وحول أيّة حبّات ؟

* * *

عندما قذف بي الله حصاة إلى هذه البحيرة العجيبة أزعجتُ صفحتَها بدوائر لا تحُصى . غير أنني لمّا بلغتُ أغوارها لفّني سكونٌ شامل .

* * *

هَبْني صمتًا فأغلبُ به الليل جرأة .

* * *

كان لي مولد ثان حين انعقد الحب بين روحي وجسدي فتزاوجا .

* * *

عرفتُ رجلا رهيف السمع غير أنه كان أبكم ، فَقَدَ لسانه في إحدى المعارك . وإني لأعلم الآن أية معارك خاضها ذلك الرجل قبل أن يُلمّ به الصمت الكبير . وإني لسعيد بموته ، فما أضيقَ الدنيا عن أن تتسع لنا معًا .

* * *

ما أطولَ ما رقدتُ في ثرى مصر صامتًا في غفلة عن الفصول .

ثم منحتني الشمس الحياة ، فنهضت أمشي على ضفاف النيل ، منشدًا مع الأيام ، حالمًا مع الليالي .

والآن تطؤني الشمس بألف قدم ، عساي أن أرقد ثانية في ثرى مصر .

ولكن هاك الأعجوبة المبهرة والأحجية المحيِّرة :

إن الشمس نفسها التي جمعت شتاتي تعجز عن أن تنثرني بَدَدًا .

ولا أزال ناهضًا على ضفّتي النيل أمشي مطمئن الخُطى .

* * *

الذكرى صورة من صور اللّقاء .

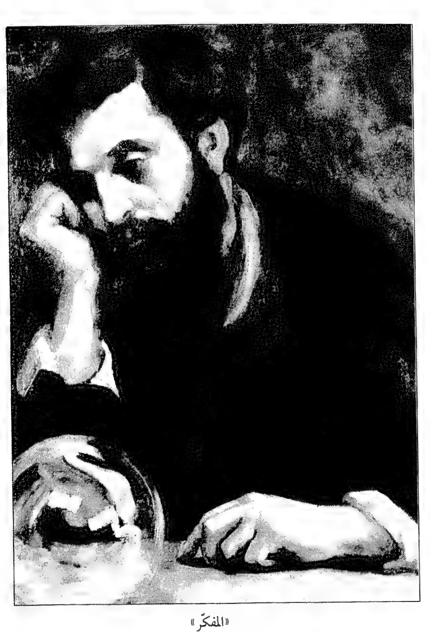
* * *

النسيان صورة من صور الحرية .

* * *

نحن نقيُس الزمن بحركة شموس لا تُحصى ،

وهم يقيسون الزمن بآلات في جيوبهم .



«المفكّر»



والآن خبّرني : أنّى لنا أن نلتقي في المكان والزمان اللذَين نحدّدهما؟

* * *

ليس الفضاء بين الأرض والشمس فضاءً للذين يطلّون من بين فرجات نهر المجرّة

* * *

الإنسانية نهر من نور يجري من الأزل إلى الأبد .

* * *

ألا تَحسد الأرواحُ الهائمةُ في الأثير الإنسانَ على ما يكابد من أسًى ؟

* * *

في مسعايْ نحو المدينة المقدسة لقيتُ حاجّا آخر وسألته : أ هذا حقّا هو الطريق إلى المدينة المقدّسة ؟

فقال : اتبعني تبلغ المدينة المقدّسة في يوم وليلة .

وتبعتُه ، وسِرْنا أيامًا وليالي وما بلغنا المدينة المقدّسة .

وما أشدّ عجبي إذ وجدته قد ضاق بي لأنه أضلّني الطريق .

* * *

ربِّ اجعلني فريسة للأسد قبل أن تجعل الأرنب فريسة لي .

* * *

قد لا يبلغ المرءُ الفجرَ إلا عن طريق الليل .

* * *

يقول لي منزلي : ناشدتُك ألاّ تهجرني فها هنا يقيم ماضيك .

ويقول لي الطريق : فلْتَمض في إثري فإني لك المستقبل .

وأقول لهما معًا منزلي والطريق : أنا لا ماضي لي ولا مستقبل، وإذا ما أقمت هنا ففي إقامتي رحيل ، وإذا ما رحلت ففي رحيلي إقامة . الحب والموت وحدهما يبدّلان الأشياء كلها .

* * *

كيف أفقد إيماني بعدل الحياة ، وأحلامُ الراقدين على الفراش ليست أجمل من أحلام الذين يفترشون الغبراء ؟

* * *

يا عجبا ، إن الرغبة في لذّات معيّنة هي بعض ألمي .

* * *

سبع مرات ازدريت روحي :

أولاها : لَمّا رأيتها تتواضع عساها تبلغ الذُّروة .

ثانيتهما : لَمّا رأيتها تعرج في حضرة الكسيح .

ثالثتها : لَمّا خُيِّرت بين الصّعب والهيِّن ، فاختارت الهيِّن .

رابعتها: لَمّا اقترفتْ خطأ وتعزّت بأن غيرها يقترف هو الآخر الخطأ.

خامستها : لَمّا صبرتْ عن ضعف وعَزَتْ صبرها إلى القوة .

سادستها : لَمّا أنِفَتْ من وجهٍ دميم ، وما عرفت أنه قناع من أقنعتها هي .

سابعتها : لَمّا تغنّت بأغنية مدح وأنزلت ذاك منزلة الفضيلة .

* * *

أنا جاهل بالحق المطلق ، غير أنني أشعر بالضّعة أمام جهلي، وفى هذا موضع فخري وجزائي .

* * *

ثمة مسافة بين ما يتخيّل المرء وما يحققه، لا يقطعها غير شوقه .

* * *

الجنّةُ ثَمّ وراء ذلك الباب في الغرفة المجاورة ، غير أن المفتاح ضاع مني ، ولعلّي أنسيت موضعه فحسب .

* * *

أنت أكمه وأنا أصمّ أبكم ، إذن فلنتماسّ الأيدي ولنتفاهم.

* * *

قيمةُ المرء ليست فيما يبلغه ، بل فيما يروم بلوغه .

* * *

منّا مَنْ هو كالمداد ومنّا من هو كالورق . فلولا ما ببعضنا من سواد لكان بعضٌ آخرُ أبكمَ ، ولولا ما ببعضنا من بياض لكان بعضنا الآخر أعمى .

* * *

أعطني أُذُنا أُعطك صوتًا

* * *

العقل فينا إسفنجة والقلب جدول .

* * *

أليس عجيبًا أن أكثرنا يؤثر الامتصاص على الانسياب ؟

* * *

حينما تتوق إلى نعمة لا تعرف لها اسمًا ، وحينما تحزن دون أن تدري لذلك سببًا ، فأنت في الحق تنمو مع كل ما ينمو وترتفع إلى ذاتك الكبرى .

* * *

عندما ينتشي الإنسان برؤيا يَعُدُّ تعبيره الواهي عنها الخمر بعينها

* * *

أنت تشرب الخمر لعلك تسكر ، وأنا أشربها لعلّي أصحو بها من نشوة تلك الرّاح الأخرى .

* * *

عندما تفرغُ كأسي أروضُ نفسي على فراغها ، وعندما يفرغ نصفها أضيق بأن تكون نصيفةً .

* * *

ليست حقيقة غيرك فيما يُبْديه لك ، بل فيما لا يستطيع أن يبديه لك . فأنت إذا أردت أن تدرك كنهه ، فلا تُصغ إلى ما يقول بل إلى ما لا يقول .

* * *

نصف ما أقوله لك لا معنى له ، غير أني أقوله لعلّ النصف الآخر يبلغك .

* * *

الحسّ بالدعابة من الحسّ البصير بالمقاييس .

* * *

وُلدتْ فيَّ العزلةُ حينما أطْرى الناس عيوبي الصارخة وتنقّصوا فضائلي الصامتة .

* * *

عندما لا تجد الحياةُ مَنْ يغنّي بما في قلبها ، تأتي بفيلسوف .

* * *

الحق يُعرف في كل حال ، ولا يُنطق به إلاّ في بعض الأحوال .

* * *

كل ما هو مفطور فينا صامت ، أما المكتسب فثرثار .

* * *

صوت الحياة فيَّ لا يستطيع أن يبلغ أذن الحياة فيك ، ولكن دعنا نتحدّث حتى لا نعاني الوحدة .

عندما تتحادث امرأتان لا تقولان شيئًا ، فإذا تحدّثت واحدة كشفت عن الحياة كلها .

* * *

قد يكون للضفادع نقيقٌ أشدّ من خوار الثيران ، لكنها لا تقوى على أن تجرّ المحراث في الحقل ولا أن تدور بعجلة معصرة النبيذ ، كما أنك لا تستطيع أن تصنع من جلود الضفادع أحذية .

* * *

ما من أحد غير الأصمّ يحسد الثرثار .

* * *

مَنْ للشتاء بمن يصدّقه إذا قال : « إن الربيع محلُّه قلبي » ؟

* * *

كلٌّ بذرةٍ شوقٌ .

* * *

لو أنك فتحت عينيك وأمعنت النظر لرأيت صورتك ماثلة في كل صورة .

ولو أرهفت أذنيك وأصغيت لسمعت صوتك في كل الأصوات .

* * *

لا بدٌّ للكشف عن الحق من اثنين : رجل يجهر به وآخر يفهمه .

* * *

أبداً تغشانا موجة الكلام ، غير أن أعماقنا تلزم الصمت أبداً .

* * *

كم من مذهب يحكي زجاج النافذة ، نرى الحق من خلاله ، غير أنه يفصل بينه وبيننا .

* * *

فلنأخذ في لعبة « المخابأة » ، وليفتّش بعضنا عن بعض ، فإذا كان في قلبي مخبؤك فغير عسير عليَّ أن أجدك . أما إذا اختبأت طيّ قشرتك ، ففى غير طائل يُفتّش عنك .

* * *

قد تحجبُ المرأةُ وجهَها بابتسامة

* * *

ما أجلَّ القلب المهموم حين يشارك القلوب المرحة أنشودة مرحة .

* * *

مَثَلُ الذي يبغي أن يدرك كُنه امرأة ، أو أن يتعرّف عبقريًا ، أو أن يجلو سرّ الصمت ، كمثل مَنْ يطمع في أن يستيقظ من حلم جميل ليجلس إلى مائدة الصَّبوح [1] .

* * *

أريد أن أسير مع السائرين ، ولا أبغي أن أتلبّث في جمود أرقب الموكب يمرّ بي .

* * *

(١) الصَّبوح : ما يؤكل في الصّباح .

أنت مدين لمن يخدمك بما هو أعزّ من الذهب ، فابذل له من مُهجتك أو اخدمه .

* * *

ما كانت حياتُنا هباء . أوكم تُشيَّد البروج من عظامنا ؟

* * *

لا يَحْسُن بنا أن ندقّق أو أن نُشغَل بالصغائر ، فمن الثّرى عينه ينبتُ في جلال ذهنُ الشاعر وذَنَبُ العقرب .

* * *

مع كل تنّين يولد مار جرجس ليذبحه .

* * *

الأشجار أشعار تخطّها الأرض على صفحة السماء ، ونقطعها نحن فنُحيلها أوراقًا نخطّ عليها خواءَنا .

* * *

إذا أحسستَ ميلا إلى الكتابة ـ وعند أولياء الله علمُ ذلك الميل ـ فلزام عليك أن تكون ذا معرفة وفن وسحر : معرفة بجَرْسِ الكلمات، وفنٌّ مَنْ لا يدّعي الفن ، وسحرُ مَنْ يحب قُرّاءه .

* * *

هم يغمسون أقلامهم في قلوبنا ويخالون أنهم مُلْهَمون .

* * *

لو أتيح لشجرة أن تسطر تاريخ حياتها ما اختلف عن تاريخ جنس من الأجناس .

* * *

إذا كان لي أن أختار بين القدرة على نظم الشعر والنشوة من شعر لم يُتْلَ إلا في مخيّلتي لاخترت النشوة ، فهي شعرٌ أفضل .

غير أنك وجيرتي جميعًا متّفقون على أنني أبدًا أسيء الاختيار .

* * *

ليس الشعر رأيًا تُفصح عنه ، بل هو تغريدٌ يفيض من جُرح يدمي أو فم يبتسم .

* * *

الكلمات طليقة من حدود الزمان . فلتنطق بها أو فلتكتبها عارفًا أنها أزلية .

* * *

الشاعر مَلكٌ خُلع عن عرشه ، جلس بين أطلال قصره يحاول أن يسوّي من الأطلال صورة .

* * *

الشعرُ كَمٌّ من الفرح والألم والعَجَب، مع نزرٍ مما ورد في المعاجم .

* * *

عبثًا ينشد الشاعر المصدر الذي صاغ أغاني قلبه .

* * *

قلتُ مرة لشاعر : لن تَقْدُرك قدرك حتى تموت .

فأجاب : نعم . الموت دائمًا يكشف ما استتر . فإن رغبت حقًا في أن تعرف قدري فاعلم أن ما في قلبي أكثر مما على لساني ، وأن رغبتي أكبر من أن تتّسع لها يدي .

* * *

إذا تغنّيت بالجمال فستجد مَنْ يستمع إليك ولو كنت وحيدًا في جوف الصحراء .

* * *

الشّعرُ حكمةٌ تستهوي القلب ، والحكمة شعرٌ يصدح في الفكر .

فإذا قُدِّر لنا ، ونحن نستهوي قلب إنسان أن نصدح في فكره ، فلعمري سوف نحيا في كَنَفِ الربّ .

* * *

أبدًا لن يكفَّ الإلهام عن الغناء ، ولن يُبين الإلهام أبدًا .

* * *

كثيرًا ما نغنّي لأطفالنا كي يناموا ، لعلنا نحن أنفسنا ننام .

* * *

ليست كلماتنا كلها إلا فتاتًا يسّاقط من مائدة الفكر .

* * *

إعمالُ الفكر حجرُ عثرة دائم في سبيل الشّعر .

* * *



«الحياة شعلة»



المغنّي البارع هو من يصوغ من صمتنا غناء .

* * *

أنّى لك أن تغنيّ إذا كان فمك مُفْعمًا بالطعام ؟

وأنّى ليدك أن ترتفع لتسأل البركة إذا كانت مُتْرعةً بالذهب ؟

* * *

يقولون إن البلبل يَخِزُّ صدره بشوكة حين يشدو بأغنية الحب . كذلك نفعل جميعًا . وهل من سبيل آخر للشدو ؟

* * *

ما العبقرية إلا أغنية عصفور في مستهل ربيع قد أبطأ في إقباله .

* * *

حتى أكثر الأرواح أجنحة لا تستطيع أن تنجو من حاجة الجسد .

* * *

المجنون موسيقيّ لا يقلّ عنّي ولا عنك قدرًا ، غير أن الآلة التي يعزف عليها قد خرجت هَوْنًا ما عن الإيقاع .

* * *

الأغنية التي تكمن صامتة في قلب الأم تترنّم بها شفتا وليدها .

* * *

لا شوق إلاّ ارتوى غليله .

* * *

لم أوافق ذاتي الأخرى تمامًا ، إذ الحق فيما يبدو متنازع بيني وبينها .

* * *

ذاتُك الأخرى دائمة الحزن من أجلك ، غير أن ذاتك الأخرى قوامها الحزن فلا بأس إذن ولا ضيْر .

* * *

لا صـراع للروح وللبـدن إلاّ في أذهان ذوي الأرواح الغـافيـة والأبدان الناشزة .

* * *

عندما تصل إلى جوهر الحياة ستحسّ الجمال في كل شيء ، حتى في العيون التى عَمِيَتْ عن رؤية الجمال .

* * *

إنما نعيشُ لنهتدي إلى الجمال ، وكل ما خلا ذلك لون من الانتظار .

* * *

ابذر حبّة تُعْطك الأرضُ زهرة . وتمنّ على السمـاء ما تتمنّى فستُواتيك السماء بمن تُحبّ .

* * *

لأن الشيطان مات في اليوم نفسه الذي وُلدتَ فيه ، فستلقَى الملاك دون أن تصطلي بنار الجحيم .

* * *

كم من امرأة تستعير قلب الرجل ، وما أندر اللائي يقدرن على امتلاكه .

* * *

إذا أردت حيازة شيء فلا تطالبْ به .

* * *

متى مسَّت يدُ رجل يدَ امرأة فقد مسَّا معًا قلب الخلود .

* * *

الحب قناع بين عاشق ومعشوق .

* * *

لكل رجل محبوبتان ، إحداهما من نسج خياله والأخرى لَمّا تولد .

* * *

إن الذين لا يغفرون للنساء أخطاءهن الصغرى لا يستمتعون أبدًا بفضائلهن العظمى .

* * *

الحب الذي لا يُضفي على نفسه جديدًا كل يوم يستحيل عادة ، ثم لا يلبث أن يكون رقًا .

* * *

يعانق المتحابان ما بينهما [مِنْ ودّ] أكثر مما يعانق أحدهما الآخر .

* * *

ما اجتمع الشكّ والحب قط على صعيد التجاوب .

* * *

الحب كلمة من نور ، خطّتها يدٌ من نور ، على صفحة من نور .

* * *

الصداقة دائمًا تَبِعةٌ عذبة وما كانت قطّ فرصة تُنتهز .

* * *

إذا لم تفهم صديقك في كل حال فلن تفهمه أبدًا .

* * *

أبهَى حُلَّة لك نسجها غيرك .

وأشهَى طعام لديك ما أصَبْته على مائدة غيرك .

وأنعم فراش عرفت ما كان في بيت غيرك .

والآن خبّرني : أنّى لك أن تباعد ما بينك وبين غيرك ؟

* * *

لن يلتقي عقلك وقلبي أبدًا إلاّ أن يُمسك عقلك عن السّعي بين الأرقام وقلبي عن السّعي في الضباب .

* * *

لن يفهم أحدنا عن الآخر إلاّ حين نختصر اللغة إلى سبع كلمات .

* * *

أنّى لقلبي أن تُفضَّ أختامه إلاّ إذا تحطّم .

* * *

ليس لغير حزن عميق أو فرح جزيل أن يكشف عن حقيقتك . فإذا شئت أن تبين حقيقتك فارقص في الشمس عاريًا أو احمل صليبك .

* * *

لو ألقت الطبيعة بالاً لما نقول عن القناعة فلن يجري نهرٌ إلى بحر أبدًا ، ولن تجد شتاءً يستحيل إلى ربيع . وإنْ تُبالِ بما نُردّد عن الادّخار ، فهل تُرى أكثرنا كان يَستافُ هذا الهواء؟

* * *

أنت لا ترى غير ظلّك حين تولّي ظهرك للشمس .

* * *

أنت حرٌّ حين تطالعك شمس يومك ، وحرٌّ حين تُظلّلك نجوم الليل .
وأنت حرٌّ حين لا شمس ولا قمر ولا نجوم .
بل أنت حرّ حين تُغمض عينيك عن كل ما هو موجود
ولكنك عبدٌ لمن أحببت لأنك تُحبّه
وعبدٌ لمن أحبّك لأنه يُحبك .

* * *

كلنا نقف بباب الله سائلين . وكلٌّ منا يناله من فضل المليك نصيب حين يدلف إلى الهيكل وحين يغادره . غير أننا جميعًا يغار بعضنا من بعض ، وليس في هذا توقير للمليك .

* * *

ليس في مقدورك أن تأكل فوق ما تشتهي ، فاقتسم رغيفك مع آخر ، وأبق شيئًا للطارئ من الضيوف .

* * *

لولا الضّيف لأضحت بيوتُنا مقابر .

* * *

قال ذئبٌ ظريف لنعجة ساذجة : هلاّ تشرّفين دارنا بزيارة ؟

فأجابت النعجة : لقد كان يشرّفني أن أزور بيتك لو لم يكن مكانه في جوفك .

* * *

أوقفت ضيفي على عتبة داري وقلت : لا ، لا تمسح قدميك عند الدخول ولكن . . عندما تخرج .

* * *

ليس الجود أن تعطيني ما أنا أشدّ منك حاجة إليه ، وإنما الجود أن تعطيني ما أنت أشدّ إليه حاجة مني .

* * *

إنك محسن حقا حين تتزكّى ، وعندما تتزكّى أدِرْ وجهك عمنْ يتقبّل عطاءك حتى لا تُبْصر حياءَه عاريًا .

* * *

ما الفرق بين أكثر الناس غِنى وأشدّهم إملاقًا سوى يوم في سغب وساعة على ظمأ .

* * *

كثيرًا ما نستعير من الغد لنردّ ديون الأمس

* * *

أنا الآخر تطوف بي الملائكة والشياطين غير أني لا ألبث أن أدرأهم عن نفسي . فإذا ما طاف بيَ ملَكٌ أخذتُ في صلاة مأثورة فيضيق ذرعًا . وإذا ما طاف بي شيطان اقترفتُ إثمًا مطروقًا فيعدل عني .

* * *

وبعد ، فليس هذا بسجن مرذول ، غير أني لا أحب هذا الجدار يفصل بين زنزانتي وزنزانة السجين المجاور .

وإنني على ذلك أؤكد لك أني غير راغب في لَوْم السجّان ولا مَنْ شيّد السجن .

* * *

إن الذين يُناولونك حيّة حين تسألهم سمكة قد لا يملكون غير الحيّات ليُقدّموها . فهو إذن من جانبهم سخاء .

* * *

قد ينجح الخداع أحيانًا ، ولكنه دائمًا قاتلُ نفسه .

* * *

إنك حقا غفور حين تغفر لقتلة لا يسفكون أبدًا دمًا ، وللصوص لا يسرقون أبدًا ، ولكَذَبةٍ لا ينطقون بباطلٍ .

* * *

إن مَنْ يلمس الفاصل بين الحق والباطل يلمس بيديه أهداب رداء الرّب .

* * *

إذا كان قلبك بركانًا فأنّى لك أن ترى الأزهار تتفتّح بين يديك .

* * *

إليك غريبة من غرائب إمتاع الذات : أحبُّ أن أكون المُضلَّل المخدوع أحيانًا ، كيما أضحك من الذين يخالون أنني لا أعرف أنني المضلَّل المخدوع .

* * *

ماذا أقول في هذا الذي يطارد غيره ويتظاهر بأن غيره يطارده؟

* * *

دَعْ رداءك لمن يمسح به يديه المُتَّسِخَتَيْن فقد يحتاج إليه ثانية ، أما أنت ففي غنىً عنه .

* * *

من أسف أن الصيارفة لا يصلحون لأن يكونوا من خيرة البستانيين .

* * *

بربّك لا تحاول ستر أخطائك الغريزية باستعراض فضائلك المكتسبة، فإني أوثر هذه الأخطاء بعينها، فما أقربها شبهًا بأخطائي .

* * *

ما أكثر ما عزوت لنفسي جرائم لم أقترفها قط، كيْ لا أحرج الغير في مجلسي.

* * *

إنما أقنعة الحياة أقنعة لأسرار أشدّ منها غموضًا .

* * *

لن يسعك أن تحكم على الآخرين إلا بما تُمليه عليك معرفتك لذاتك . والآن خبّرني : أيُّنا البريء وأيُّنا المذنب ؟

* * *

المُنصف حقا هو من يُحسّ أنه شريكك في النصف من سيئاتك.

* * *

لا يخرج على قانون وضعه الإنسان غير أبْله أو عبقري ، وكلاهما أقرب ما يكون إلى قلب الله .

* * *

لن تُسرع الخطو إلاّ أن تكون مطارَدًا .

* * *

ليس لي عدو . فإذا ما قُدِّر أن يكون لي عدوّ ، فاجعل ربِّ قوته كِفاء قوّتي حتى يظفرَ بالنصر الحقُّ وحدَه .

* * *

ليجمعنّ الموتُ بينك وبين عدوّك برباط من الصداقة مكين .

* * *

قد ينتحر المرء خلال دفاعه عن نفسه .

* * *

من زمن بعيد صُلبَ « رجلٌ » لأنه أفرط في حب الناس ، كما أفرط الناس في حبِّه . ومن عجبَ أنني لقيته بالأمس مرات ثلاث : كان في ا الأولى يطلب إلى شرطيّ ألا يقود بغيًّا إلى السجن ، وفي الثانية كان يُشَارِبُ فردًا من المنبوذين ، وكان في الثالثة يلاكم رجلاً يُتاجر بتعاليم الكنيسة .

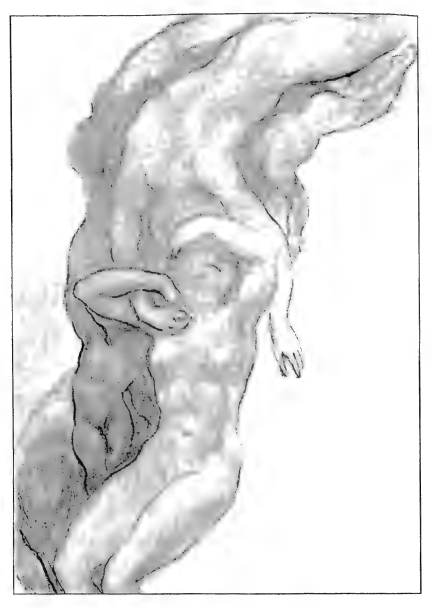
* * *

لو أن ما يقولونه عن الخير والشر كان حقا ، إذن لأضحت حياتي جريمة متصلة .

* * *

الرحمة نصف العدالة .

* * *



«الشلاّل»



إن الرجل الوحيد الذي لم يُنصفني هو هذا الذي لم أنصف أخاه .

* * *

إذا أبصرت رجلاً يُقاد إلى السجن فذكِّر نفسك : لعله قد خَلَصَ من سجن أكثر ضيقًا . وإذا أبصرت رجلا مخموراً فقُل : عساه يرى النجاة بها من حال أقبح .

* * *

ما أكثر ما يقودني الدفاع عن نفسي إلى الشعور بالبغضاء ، ولو كنتُ أقوَى ما شرعتُ مثل ذاك السلاح .

* * *

ما أغبَى من دَارَى بغضاء عينيه بابتسامة من شفتيه .

* * *

لا يحسدني أو يبغضني إلا مَنْ كان دوني .

وما حسدني أحد ولا أبغضني ، فلست أعلى منزلة من أحد .

مَنْ هم أرفع مني شأنًا يملكون وحدهم إطرائي أو التهوين من شأني .

وما أطراني أحد ولا هوّن منّي ، فمكانتي ليست دون غيري .

* * *

إن قولك لي « لست أفهم عنك » إطراء يجاوز قدري ، وإهانة لك لستَ لها أهلا .

* * *

ما أهْونني حين تهبني الحياة ذهبًا وأهبُك فضة ، ثم أعدّ نفسي كريمًا .

* * *

عندما تدرك كنه الحياة سوف تعرف أنك لست أعلى شأنًا من المجرمين ولا أدنى من الأنبياء .

* * *

من عَجَب أنك ترثي لبطيء الخطو لا لبطيء الفهم ، ولأعمَى البصر لا لأعمَى البصيرة

* * *

من الفطنة ألا يحطّم الأعرجُ عكّازَه على رأس عدوّه

* * *

ما أجهل مَنْ يعطيك مما في جيبه عسى أن يأخذ مما في قلبك .

* * *

الحياة موكبٌ. يراه بطيءُ الخَطْو ممعنا في السرعة فيتخلّف ، ويراه سريع الخطو ممعنًا في البطء فيتخلّف عنه بدوره .

* * *

إذا كان ثمّ ما يُسمّى خطيئة فإن نفراً منا يقترفونها متأثرين بخُطى السَّلف ، ونفراً منا يُنَشِّؤُون عليها أولادنا بتحكّمهم فيهم .

* * *

أكثرُ الناسِ صلاحًا مَنْ فَنيَ في التعاطف مع الموصومين بأنهم من الطالحين.

* * *

كلنا سجناء ، غير أن فئة منّا في زنازين ذات نوافذ، وفئة لا نوافذ لزنازينها .

* * *

من عَجب أن حماستنا حين ندافع عن سيئاتنا أكثر منها حين ننافح عن طيّباتنا .

* * *

لو تكاشفنا بخطايانا لضحك بعضنا من بعض لافتقادنا القدرة على الابتكار والإتيان بجديد. ولو كشفنا عن فضائلنا لضحكنا أيضًا للسبب عينه .

* * *

قد لا يخضع الفرد لقانون سنّه البشر حتى يجرم في حق أعراف أولئك البشر. وعندها لن يعلو على غيره أو ينحط عنه .

* * *

الحكومة عقدٌ بيني وبينك ، وغالبًا ما أكون أنا وأنت مخطئين .

* * *

الجريمة إما اسم للحاجة أو عارض من عوارض المرض .

* * *

هل بعد إدراكنا لخطايا غيرنا خطيئةٌ أكبر ؟

* * *

إذا ضحك منك غيرك فلك أن ترثي له ، أما إذا ضحكت أنت منه فقد لا تغفر ذلك لنفسك . وإذا أساء إليك غيرك فقد تنسى إساءته ، أما إذا أسأت أنت إليه فسوف تذكر ذلك أبدًا .

وفي الحق إن غيرك ليس إلا نفسك المفرطة الحسّ قد استكنّت في جسد آخر .

* * *

ياالغَفْلتك حين تريد الناس على أن يطيروا بجناحيْك وأنت أعجز من أن تمدّهمَ بريشة .

* * *

جلس إلى مائدتي ذات مرة رجل فأكل خبزي ورشف نبيذي ثم غادرني يهزأ بي .

ثم عاد ثانية إلى خبزي ونبيذي فأقصيته ، فسخرت منّي الملائكة .

* * *

البغضاء موت . مَنْ منكم يحب أن يكون لحدًا ؟

* * *

إنه لما يُزْهَى به القتيل أنه ليس القاتل .

* * *



منبر الإنسانية في قلبها الصامت لا في خاطرها الثرثار .

* * *

نحن جميعًا مُصْعدون إلى ذروة أماني قلوبنا . فإذا ما سلبك رفيقٌ مُصْعد غرّارتك وكيسك سمّنه هذا وأثقلته تلك ، فأولى بك أن ترثي له . سيكون الصعود أشقّ على سمنته وسيُطيل الثّقل طريقه . فإذا ما رأيته أيها النحيل صاعدا لاهثا ببدانته فأعنْه في خَطْوِه ، ولسوف يزيد ذلك من سرعة ارتقائك .

* * *

لن تستطيع أن تقضي في شأن إنسان فوق ما تعرف عنه ، وما أقلّ معرفتك .

* * *

لست أحبُّ أن أستمعَ إلى غاز يعظُ مَن قَهرَهم .

* * *

الرجل الحرّ حقا هو من يحمل في صبر نير العبد المقيّد بالأغلال .

* * *

لألف عام خلت قال لي جاري : « إنني بَرِمٌ بحياتي ، فما هي إلا قطعة من الألم » . وبالأمس مررتُ بالمقابر ورأيت الحياةَ ترقص فوق ضريحه .

* * *

صراعُ الطبيعة ليس إلا فوضى تحنّ إلى نظام .

* * *

الوَحدة عاصفة ساكنة تحطّم أغصاننا الميّتة. وهي مع ذلك تضرب بجذورها في أقصى أعماق القلب النابض من الأرض الحيّة .

* * *

تحدثتُ مرَّة عن البحر إلى جدول فخالني الجدول مبالغًا مغرقًا في الخيال ، وتحدثت مرة عن الجدول إلى البحر فظنّني البحر عيّابًا أبغي التشهير .

* * *

ما أضيقه من خيال ذاك الذي يُعلي قدر نشاط النمل المحموم على شَدْو الجنادب .

* * *

قد تكون أسمى الفضائل في عالمنا أدناها في عالم آخر .

* * *

يمضي العميق إلى الغور والمرتفع إلى الذُّروة كلاهما في خط مستقيم ، بينما لا يملك أن يتحرّك في دوائر غير المنبسط .

* * *

لولا مفهومنا للأوزان والمقاييس لخشعنا راهبين أمام اليراعة شأننا أمام الشمس .

* * *

عالمٌ بلا خيال قصّابٌ يحمل سكاكين مثلومة وموازين متآكّلة .
لكن ما الحيلة ونحن في أمسّ الحاجة إليه فلَسْنا جميعًا نباتيّين ؟

* * *



أنا عندهم مجنون لأنني أرفضُ أن أبيعهم أيامي بذهب .
بل المجانين هُم لأنهم يخالون أيامي تُقوَّم بثمن .

* * *

كشفوا لنا عن أغنَى ما يملكون من ذهب وفضة وعاج وآبنوْس ،
فكشفنا لهم عن قلوبنا وأرواحنا ، وهم مع هذا يعدّون أنفسهم أصحاب
ـار ويعدّوننا الضيوف .

* * *

إني لأوثر أن أكون الأدنى بين ذوي الأحلام الطامحين إلى تحقيقها على أن
ون الأعلى بين مَنْ لا حُلم لهم ولا طموح .

* * *

أوْلى الناس بالرثاء مَنْ يُحيل أحلامه إلى ذهب وفضّة .

* * *

إذا كان لزامًا عليك حقـا أن تكون صريحًا فكُن صريحًا في رفْق أو فالزم
صَّمت ، لأن في جيرتنا رجلا يُسلم الروح .

* * *

رُبَّ جنازة عند بني الإنسان هي عرسٌ بين الملائكة .

* * *

قد تهلك الحقيقة المنسيّة وتخلّف في وصيّتها آلافًا مؤلّفة من الوقائع
الحقائق تشارك في جنازتها وفي بناء ضريح لها .

* * *

في الحق أننا نتحدث إلى أنفسنا فقط ، غير أننا نرفع صوتنا أحيانًا حتى يسمعنا الآخرون .

* * *

الأمر الواضح هو الذي لا يُرى أبدًا إلى أن يُفصِح عنه بعضنا ببساطة .

* * *

عندما تغنّي يُصْغِي إليك الجائع بمعدته .

* * *

ليس الموت بأدنَى إلى المُسِنّ منه إلى الوليد ، وكذلك الحياة .

* * *

لو لم يكن طريق المجرّة في دخيلتي ما كان لي أن أراها وأعرفها .

* * *

لن يصدّقوا أنني فلكيّ حتى أكون طبيبًا من الأطباء .

* * *

ربما عرَّف البحرُ المحارةَ بأنها لؤلؤة ،

وربما كان تعريف الفحم عند الزمان الألماس .

* * *

الشُّهرةُ ظلٌّ للشهوة قائمةٌ في النور

* * *

الجِذْرُ زهرةٌ تزدري الشّهرة .

* * *

ليس بعد الجمال دين أو علم .

* * *

كل عظيم عرفته انطوى تكوينه على هنات صغيرة ، وكانت هذه الهنات الصغيرة هي التي حمته من القعود أو الجنون أو الانتحار .

* * *

العظيم حقا هو مَنْ لا يبغي أن يسود أحداً ، ولا يحب أن يسوده أحد .

* * *

ما أُحبّ أن أصدّقَ أن الإنسانَ تافهٌ لا لشيء إلاّ لأنه يقتل المجرمين والأنبياء .

* * *

التسامحُ محبةٌ أصابها داء التعالي

* * *

لسوف تستحيل الديدان جيفًا ، ولكن أليس غريبًا أن تستسلم الفيلة أنفسها لهذا المصير ؟

* * *

ربما كان الخلاف أقصر طريق بين فكرين .

* * *

أنا اللّهب ، وأنا الهشيم اليابس ، وإن بعضي ليأكل بعضي .

* * *

نحن جميعًا ننشد ذروة الجبل المقدس . ولكن ألن يكون طريقنا أقصر لو اتخذنا الماضي خريطة لا دليلا ؟

* * *

تخرج الحكمة عن الحكمة إذا تعالت عن البكاء ، وتعاظمت على الضّحك ، وشُغلت بنفسها عن النظر إلى غيرها .

* * *

لو أنني قنعتُ بكل ما تعرفه أنت ، فأي مكان يبقى لكل ما لاتعرفه ؟

* * *

تعلّمتُ الصّمتَ عن الثرثار ، والتّسامح عن المتعصّب ، والرقّة عن القاسي . ومن الغريب أنني على ذلك جاحد حقّ هؤلاء المعلّمين .

* * *

المتعصّبُ خطيبٌ أصمّ .

* * *

صمتُ الحسود بالغ الجلبة

* * *

المبالغة حقيقة فقدت أعصابها واتّزانها.

* * *

إذا كنت لا ترى غير ما يكشف عنه الضوء ولا تسمع غير ما يُعلنُ عنه الصوت ، فأنت في الحق لا تبصر ولا تسمع .

* * *

الواقع حقٌّ مجرّد ، غير محدّد الجنس .

* * *

لا تستطيع أن تجمع بين الضحك والغلظة في آن معا .

* * *

أقرب الناس إلى قلبي مَلِكٌ لا مُلك له ، وفقيرٌ لا يعرف كيف يستجدي .

* * *

رُبَّ إخفاق في حياء أنبل من نجاح في تبجُّح .

* * *

احفر أنّى شئت في الأرض فسوف تلقى كنزًا ، شريطة أن تحفر بإيمان الفلاح .

* * *

قال ثعلب هاربٌ يقتفي إثره عشرون فارسًا وقطيعٌ يبلغ العشرين من كلاب الصيد: «إنهم لا شك سيقضون عليّ. ولكن يالخسّتهم وغبائهم، أترى عشرين ثعلبًا تمتطي عشرين جحشًا ويصحبها عشرون ذئبًا تَحْفِلُ بأن تطارد رجلا واحدًا تبغي قتله؟».

* * *

العقل منا هو الذي يذعن للشرائع التي وضعناها. أمّا الروح فلا تخضع أبدا.

* * *

رحّالة أنا وملاّح، ومع مطلع كل يوم ينكشف لي في روحي إقليم جديد.

* * *

اعترضت امرأة قائلة: من المؤكد أنها كانت حربًا عادلة، فقد سقط فيها ابني.

* * *

قلتُ للحياة «بودّي لو سمعت الموت يتكلم». ورفعت الحياة صوتها شيئًا ما وقالت: «ها أنت تسمعه الآن».

* * *

إذا ما جَلَوْت كل أسرار الحياة نزعت إلى الموت، لأنه أحد أسرارها

* * *



«النموذج الكوني والإنسان الصّاعد»



المولد والموت هما أسمَى تعبير عن الشجاعة

* * *

يا صاحبي ، سنظل معا غريبيْن عن الحياة ، ولن ينفكّ أحدنا غريبا عن الآخر ، وغريبًا عن نفسه ، حتى يأتي يوم تقول فيه وأسمع ، معتبرًا صوتك صوتي ؛ وعندما أقف أمامك ، إخال نفسي واقفا أمام مرآة .

* * *

يقولون لي : « إذا أنت عرفت نفسك عرفت الناس كلهم » .

وأقول : « لن أعرف نفسي حتى أسعى إلى الناس جميعًا » .

* * *

الإنسان رجلان أحدهما مستيقظ في الظلام والآخر نائم في النور

* * *

الناسك هو مَنْ يعزف عن دنيا الجزئيات علّه يأنس بدُنيا الكُلّيات ودون انقطاع .

* * *

بين العالم والشاعر حقل ناضر إن اجتازه العالم غدا حكيمًا وإن عبره الشاعر غدا نبيا .

* * *

بالأمس رأيت جمعًا من الفلاسفة في ساحة السوق يحملون عقولهم في سلال ويصيحون عاليا : « حكمةٌ . . حكمةٌ للبيع ! » .

* * *

يا لبؤس الفلاسفة ! حتمٌ عليهم أن يبيعوا عقولهم كي يُطعموا قلوبهم !

* * *

قال فيلسوف لكنّاس في الطريق : إني أرثي لك ، عَمَلُك شاقٌ وقَذر .

وقال الكنّاس : شكراً لك يا سيّدي . هات خبّرني ما عملُك ؟

أجاب الفليسوف : إني أفْحَصُ عقْلَ الإنسان : أفعاله ورَغَباته .

عندها تولّى الكنّاس بمِكْنسته وهو يقول باسمًا : إنى لأرثي لك أنت أيضا .

* * *

إن مَنْ يصغي إلى الحق ليس دونَ مَن ينطق بالحق .

* * *

لايستطيع امرؤ أن يضع حدّاً فاصلا بين الضرورات والكماليات .

الملائكة وحدهم هم القادرون ، والملائكة حكماء يَصْبُون إلى ما لا يُنال .

مَنْ يدري فلعلّ الملائكة هم أفكارنا المطهّرة تخفق في الفضاء ؟

* * *

الأمير الحق هو مَنْ يُقيم عرشه في قلوب الدراويش .

* * *

الجود هو أن تهب ما فوق قدرتك ، والكبرياء هي أن تأخذ ما دون حاجتك .

* * *

لست في الحقّ مدينًا لإنسان بعينه . وإنما أنت مدين بكل ما تملك للناس أجمعين .

* * *

كل من سَلَف من الخلق يعيشون بيننا الآن . هيهات أن يرضَى أحدنا أن يسيء الضيافة .

* * *

من طال شوقُه طال عمره .

* * *

يقولون لي : عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة .

غير أنني أقول : عصفور وريشة على الشجرة أجدَى من عشرة عصافير في اليد . وسعيُك في إثر تلك « الريشة » بالذات هو الحياة جُنِّحت أقدامها ، بل هو الحياة نفسها .

* * *

ليس في الدنيا غير عنصرين : الجمال والحق . الجمال في قلوب المحبّين ، والحق في سواعد العاملين في الأرض حرثًا .

* * *

الجمال الفائق يأسرني . بيد أن هنالك جمالا أبهَى يطلق سراحي حتى من إساره .

* * *

الجمال أوسع إشراقًا في مُهجة مَنْ يشتاقه منه في مُقلة من يراه .

* * *

إني لأعجب بالرجل يُسفر عن خاطره . وإني لأُكبر الذي يكشف القناع عن أحلامه : ولكن ما بالي أستحي وأحسّ بعض الخجل بين يديْ من يقدّم لي خدمة ؟

* * *

ذلك كان يوما يفخر فيه الموهوبون بخدمتهم الأمراء .

وهم اليوم يرون الشرف في خدمة الدهماء

* * *

يعلم الملائكة أن كثيراً من الواقعيين يهيّئون خبزهم من عرق جبين الحالمين .

* * *

كثيراً ما يكون الذكاء قناعًا ، إذا ملكت أن تهتكه وجدت إما عبقرية مُسْتَثارَة أو مهارة مُشعوذة .

* * *

يصفُني الفطِنُ بالفطنة والبليد بالبلادة ، وإني لأظن كليهما على حق .

* * *

لا يحدس أسرار قلوبنا إلا مَنْ أتْرعت قلوبهم بالأسرار .

* * *

مَن اختار أن يشاركك مسرّاتك دون آلامك فسيفقد مفتاحًا لباب من أبواب الجنة السبعة .

* * *

أجل . . . . . هناك نيرڤانا [1]

هي في مساق غنمك إلى المرعى المعشب ، وفي إسلامك وليدك للنوم ، وفي تسطيرك آخر بيت من قصيدتك .

* * *

نختار أفراحنا وأشجاننا قبل أن نَبْلُوَها بأمد طويل .

* * *

ما الأسى غير جدار قام بين جنّتين .

* * *

ما إن يَعْظُمَ فرحك أو شجنك حتى تُمْسي الدنيا صغيرة في عينيك .

* * *

الرغبة نصف الحياة ، وقلة المبالاة نصف الموت .

* * *

---

(١) كلمة سنسكريتية تفيد لغةً إخماد النار أو الخروج من دائرة الذات :
- في العقيدة البوذية : حال الغبطة لدى القديس الكامل ، وهي الهدف الأسمى للمتعبد البوذي .
- عند البراهمة : نهاية التقمص عن طريق التلاشي في الروح الكلّية .
- مع الفليسوف الألماني شو پنهور : محاولة الحكيم من باب العفة والزهد قهر شهوة الحياة باعتبارها مصدر غرور وألم ، فيلجأ إلى حياة تزداد سلبية فتزداد بذلك هناء .

وكان فلاسفة الهند يعتقدون في بلوغ النعيم الأزلي للنفس بعالم الخلود عن طريق انفصالها عن الشهوات الجسدية .

أمرٌّ ما في أحزان اليوم ذكرى سعادة الأمس .

* * *

يقولون لي : حتمٌ عليك أن تختار بين متاع هذه الدنيا وسلام الآخرة .

وأقول لهم : لقد اخترتهما معًا ؛ متاع الدنيا وسلام الآخرة لأني أعلم في قرارة نفسي أن الشاعر الأعلى لم يكتب غير قصيدة واحدة بديعة الرّويّ وسليمة القوافي أيضًا .

* * *

الإيمان واحة في القلب ليس لقافلة الفكر أن تبلغها أبدًا .

* * *

عندما تبلغ ذُروتك سوف تحسّ الرغبة لا لشيء إلا للرغبة ، وسوف تحسّ الجوع إلى الجوع ، وسوف تحسّ الظمأ لظمأ أشدّ .

* * *

إذا كشفت عن سرّك للريح فلا تلومنّ الريح إذا هي كشفت عنه للأشجار .

* * *

أزهار الربيع هي أحلام الشتاء تحكيها الملائكة على موائد الصّبوح .

* * *

قال الظَّربان [1] للياسمين المائي : انظر كيف أعدو سريعًا ، على حين لا تستطيع أنتَ أن تمشي بَلْه [2] أن تزحف !

فقال الياسمين للظّربان : يا أيها العدّاء الرفيع القدر ، بالله أسرع في عَدْوِك !

* * *

السلاحفُ أعلمُ بالطريق من الأرانب .

* * *

من عجبٍ أن أصلبَ الدروع في المخلوقات هي التي يعوزها العمود الفقري .

* * *

أكثر الناس ثرثرة أقلّهم ذكاء ، وليس ثمة فارق كبير بين خطيب ودلاّل .

* * *

كن شاكرًا لأنك لا تعيش على صيت أبٍ يخبو ولا بثروة عمٍّ تتبدّد .

بل اشكر بخاصة أن لن يكون ثمة إنسان له أن يعيش على صيت لك يذهب أو ثروة تغيض .

* * *

---

(١) الظربان حيوان من اللواحم ، صغير الجثة ، مجتمع الرأس ، أصلم الأذنين ، طويل الخطم، قصير القوائم ، منتن الرائحة .

(٢) بَلْه : بَلْ

لا يستغيث بي المشعوذ إلا حين يعيا عن التقاط كُرته .

* * *

يمتدحني الحسود وهو لا يدري .

* * *

طالما كنتَ حلمًا من أحلام أمّك في منامها ، ثم استيقظتْ لتَلِدُك .

* * *

أصلُ البشر يكمن في شوق أمك .

* * *

تَمَنَّى أبي وأمي تمنَّت أن يكون لهما وليد فولّداني ، ثم تاقت نفسي أن يكون لي أم وأب فولدتُ الليل والبحر .

* * *

أبناؤنا بعضهم تبرير لوجودنا ، وبعضهم ليسوا إلا حسراتنا .

* * *

إذا حلّ الليل وكنتَ أنتَ مثلَه ظُلمةً ، فارقد وكن مظلمًا عن اختيار .

وإذا انبلج الصُّبح وكنتَ لا تزالُ مظلمًا فانهض وأعلن النهار مُريدًا أنك لا تزالُ على إظلامك . فمن الحُمق أن تخادع الليل والنهار ، ولو فعلتَ لسخر كلاهما منك .

* * *

إن الجبل الذي يلفّه الضباب ليس تلاً ، وشجرة البلوط التي يغمرها المطر ليست صفصافة باكية .

* * *

انظر . . . هاك لونًا من الخُلف : إن العميق والمرتفع بعضهما أقرب إلى بعض مما يتوسّطهما .

* * *

عندما وقفتُ أمامك مرآةً صافية ، حملقتَ فيّ ورأيتَ صورتك . . ثم قلت : «أحبك» . وفي الحق أنك أحببت صورتك فيّ .

* * *

إذا حاولت استثمار محبّتك لجارك تبدّلت المحبة فلا تعود فضيلة .

* * *

في موات دائم حبٌّ لا يفيض دومًا .

* * *

لن تقوّى على أن تملك الشباب والمعرفة معًا ، إذ الشباب في شاغل بحياته عن المعرفة ، والمعرفة في شُغْل شاغل عن الحياة بالبحث عن نفسها .

* * *

لقد تجلس إلى نافذتك تراقب المارة ، فترى راهبة تمشي عن يمينك وعاهراً تمشي عن يسارك .

وقد تقول في براءة : « ما أشرفَ هذه ، وما أوضعَ الأخرى » .

ولو أنك أغمضت عينيك وأنصتّ هنيهة لسمعت صوتًا يهمس في الأثير : « إحداهما تسعى إليّ بعبادتها والأخرى بشقائها . وفي روح كلتيهما مهجعٌ لروحي » .

* * *

مرة كل مائة عام ، في بستان بين تلال لبنان ، يلقى عيسى الناصريّ عيسى النّصارَى ويتحادثان طويلا . وفي كل مرة يمضي عيسى الناصري وهو يقول لعيسى النّصارى : يا صديقي ، إني لأخشى ألاّ نتفق أبدًا أبدًا .

* * *

عسى الله أن يُطعم المُتْخَمين !

* * *

لكل عظيم قلبان : قلب يُدْمي وقلب يتوثّب .

* * *

إذا عنّ لرجل أن يكذب كذبة لا تسيء إليك ولا إلى غيرك فَلِمَ لا تناجي نفسك قائلا : إن بيت الحقائق عنده لأصغر من أن يتّسع لخياله ، فكان عليه أن يتركه إلى فضاء أوسع .

* * *

خلف كل باب موصد سرٌّ قد خُتم بسبعة أختام .

* * *

ما الانتظار إلا حوافر الزمان .

* * *

ماذا يُضيرك أن يكون البلاءُ نافذةً جديدة في الجدار الشرقي من بيتك؟

* * *

قد تنسى مَنْ شاركك الضحك ، ولكنك لا تنسى أبدًا مَنْ شاطرك البكاء .

* * *

لا بد أن يكون ثمة شيء غريب القداسة في الملح ، إنه مستقر في دموعنا وفي البحر .

* * *

يوم يحسّ الله ظمأه الرفيق سوف يشربنا جميعًا : قطرة الندى وعَبْرة العين .

* * *

ما أنت إلا شظيّة من ذاتك الكبرى : فمٌ يطلب الخبز ويدٌ ضالة تحمل الكأس إلى فم شفّه الظمأ .

* * *

إذا سَمَوْت ذراعا فَحَسْب على التعصّب لجنسك ووطنك وذاتك ، كنت حقا صورة من ربّك .

* * *

لو كنتُ مكانك ما أنحيتُ باللائمة على البحر حين ينحسر في جَزْره .

* * *

إن سفينتنا لثابتة وإن ربّانها الأعلى لقدير . ما في الأمر شيء سوى أن معدتك مضطربة .

* * *

إن ما نصبو إليه ويفوتنا لأعزّ علينا مما قد بلغنا .

* * *

لو قُدّر لك أن تجلس فوق سحابة ما رأيت الحد الفاصل بين وطن وآخر ولا الحجر الفاصل بين مزرعة وأخرى ، غير أنه من أسف أنك لا تستطيع الجلوس فوق سحابة .

* * *

منذ قرون سبعة انطلقت سبع حمامات بيض من واد سحيق تحلّق نحو قمة الجبل وقد كساها الثلج الناصع . وقال رجل من الرجال السبعة الذين شاهدوها وهي تطير : إني أرى بقعة سوداء على جناح الحمامة السابعة .

واليوم في ذلك الوادي يروي الناس خبر حمامات سبع سود قد طارت إلى قمة الجبل المكسوّة بالثلج !

* * *

في الخريف جمعتُ همومي وطمرتُها في بستاني ، ولما عاد أبريل وجاء

الربيع ليزفَّ إلى الأرض تفتّحت في حديقتي أكمام أزهار لا مثيل لها بين الأزهار . وخفَّ إليَّ جيراني يتطلّعون إليها وقالوا لي جميعًا : حين يرجع الخريف وقت البذر هلا تعطينا من بذور تلك الأزهار فتنوّر في بساتيننا؟»

* * *

إنه عذابٌ حقًا أن أمدَّ يدي فارغة إلى الناس ثم لا أنال شيئًا ، ولكنه القنوط إذا مددتُ يدي ملأى فلم أجد مَنْ يغترف منها .

* * *

مشوقٌ أنا إلى الأبدية ، هناك سوف ألتقي قصائدي التي لم أكتبها ، وصُوَري التي لم أرسمها .

* * *

الفن خطوة من خُطى الطبيعة إلى اللانهائية .

* * *

العمل الفنّي غمامة نُحتت تمثالا .

* * *

حتى الأيدي التي تصنع من الشوك تيجانًا خير من الأيدي البليدة .

* * *

هيهات أن تعرفَ أقدس دموعنا الطريق إلى مآقينا .

* * *

ما من إنسان إلا هو سليل كل ملك وكل عبد عاش من قبل .

* * *

لو أن الجدّ الأعلى لعيسى عرف ما هو مُخبّأ فيه ، أفتراه كان لا يقف خاشعًا أمام نفسه ؟

* * *

تُرى أكان حب أمّ يهوذا لابنها دون حب أمّ عيسى لولدها ؟

* * *

هناك معجزات ثلاثة لأخينا عيسى لمّا تُسجّل في «الكتاب» :

أولاها : أنه كان إنسانًا مثلك ومثلي ،

وثانيتها : أنه كان يتحلّى بروح الدعابة ،

وثالثتها : أنه عرف أنه الغالب وإن غُلب .

* * *

أيها المصلوب ، لقد صُلبت على قلبي ، والمسامير التي اخترقت يديك تخترق جدران قلبي .

وغدًا عندما يمرّ غريبٌ بتل الجلجثة [1] لن يعرف أن اثنين ها هنا قد سال دمهما ، بل سيرَى فيهما دمَ رجلٍ واحد .

* * *

لعلك سمعت عن الجبل المقدس .

إنه أعلى جبل في دنيانا .

وإذا قُدِّر لك أن تبلغ قمته فلسوف تكون لك رغبة وحيدة هي أن تهبط لتكون بين الذين يسكنون أعمق الأودية .

من أجل هذا سمّوه بالتحديد الجبل المقدس .

* * *

كل فكرة قيّدها لساني باللفظ ، حتمٌ عليّ أن أُحرّرها بالعمل .

---

(١) الجلجثة : المكان الذي تم فيه صلب المسيح .



أقوال النقاد في هذا الكتاب

لقد وضع المترجم برنامجًا محددًا لحركة إحياء جبراني ، ومنه يتضح أيضًا أن هذا الإحياء الجبراني ليس إلا وجهًا من وجوه حركة أعمّ وأشمل هي حركة الإحياء الرومانسي . . . ولكن أقوى مظهر من مظاهر هذا الإحياء الرومانسي بغير جدال هو جبرانيات ثروت عكاشة التي أخذت تترى في السنوات الأخيرة.

د. لويس عوض

إن ما جاء في «رمل وزبد» هو ترداد لما جاء في كتاب «النبي» مع شيء من الإضافة والتلوين في الأسلوب والجنوح إلى الرمز. ولاشك أن هذه الصلة قائمة بين الكتابين، ولكن صيغتيْهما الأسلوبيتين مختلفتان، أولاهما تفيض وتبسّط القول، والثانية «تلمح» الفكرة أو الخاطرة الواحدة فتعبّر عنها بأوجز عبارة وأكثرها إحكاما، وأقدرها على إبراز المفارقة أو إثارة الدهشة أو الانتهاء إلى المفاجأة. وفي مثل هذه الخواطر النادرة المحكمة البناء لا يجد المترجم ضرورة لاستخدام أساليب بيانيّة ثريّة بالمفردات مختلفة في التركيب، بل يحاول أن يجاري النص الإنجليزي في إيجازه ودلالته المركّزة. وسواء قصُرت عبارة جبران حتى جاءت في بضع كلمات، أو امتدت قليلا حتى بلغت بضعة أسطر فإن الدكتور ثروت يحرص أن يظل لها في العربية مالها في النص الإنجليزي من قدرة على تفجير طاقة «الخاطرة» الصغيرة لتغدو رؤية أشمل وأوسع مما يبدو في بقائها المحدود.

د. عبد القادر القط

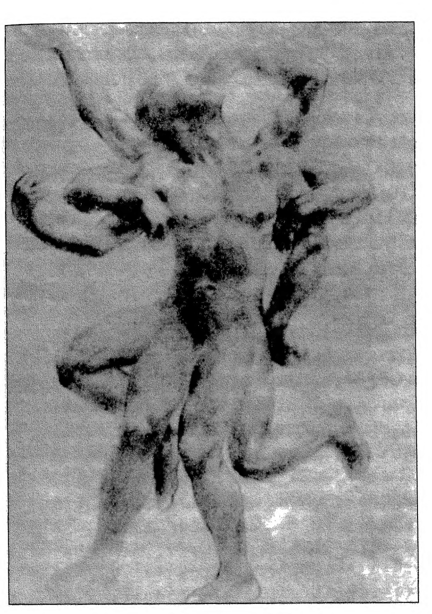


سأعود إلى هذا الكتاب مراراً للدراسة والتأمل . وإني لأهنئ الدكتور ثروت عكاشة على الأسلوب الرائع والتعبير الدقيق الذي ترجم به الكتاب . وأحسب أن المؤلف الأديب جبران خليل جبران لو أنه كان قد كتبه بالعربية لما تجاوز ما خطّه قلم المترجم البارع .

د. مجدي وهبة

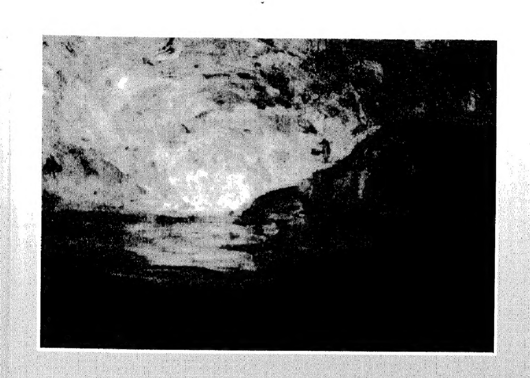
هذا الكتاب عمل فريد من روائع الفيلسوف المتصوّف جبران ، فهو لا يشمل موضوعًا بذاته ، ولا عدة موضوعات يربطها رابط بذاته ، وإنما هو مجموعة من الخواطر المتناثرة كما يتناثر الرمل والزّبد ، ولكن كل خاطرة منها تستغرقك لحظات طويلة تسبح فيها مع طرافة الفكرة وبراعة الأسلوب وأمانة الترجمة . ولا شك أن روح جبران التي طالما عذّبتها الترجمات السابقة لكتبه قد أخذت تستريح وتستروح نسمات الحياة في الربوع العربية منذ أن حمل الدكتور ثروت عكاشة أمانة جبران في عنقه فجعل ينقل كتبه إلى العربية بأسلوب مشوق من السهل الممتنع .

صالح جودت



«أبعاد الإنسان في توقه»





دار الشروق